

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصر آداب الإسلام

٩

قصص آداب الذكر

إعداد

مصطفى أحمد علي

رقم التسلسل ٥٨

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣ + هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣ +

algwthani@scs-net.org



النِّدَاءُ الْخَفِيُّ

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَابَتُهُ - رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ الصَّحَابَةُ يُجْهَرُونَ بِالذِّكْرِ وَالتَّكْبِيرِ كُلَّمَا صَعَدُوا مُرْتَفَعًا أَوْ نَزَلُوا وَادِيًا، وَكَانَ أَعْلَاهُمْ صَوْتًا ذَاكَ الَّذِي كُلَّمَا صَعَدَ أَوْ هَبَطَ نَادَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الصَّخَبِ وَالضَّجِيجِ، فَلَمْ يُعْجِبْهُ مَا صَنَعُوا، فَإِنَّ مَا صَنَعُوا؛ وَإِنْ جَازَ فِي حَقِّ الْغَائِبِ وَمَنْ بِهِ صَمَمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - لَيْسَ بِغَائِبٍ وَلَا أَصَمٍّ، بَلْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، فَبَيَّنَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ سَوْءَ مَا صَنَعُوا، وَدَلَّاهُمْ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَأَزَكَى، فَقَالَ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (ارْفُقُوا بِهَا، فَاخْفِضُوا مِنْ أَصْوَاتِكُمْ)، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ» [مسلم].

مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ خَفْضُ الصَّوْتِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّوْقِيرِ لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى، وَحَتَّى لَا تَخْتَلِطَ الْأَصْوَاتُ وَتَتَدَاخَلَ، أَوْ تُشَوِّشَ الْفِكْرَ.

سَبَاقُ الْحَسَنَاتِ

ذَهَبَ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ (أَصْحَابُ الْأَمْوَالِ) بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ فَيَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَيَجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ.

فَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَعَلَّمَكُمُ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ؛ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ ﷺ: «تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ». أَيُتَقَوْلُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ﷺ فَرَحِينَ بِمَا تَعَلَّمُوهُ.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ، رَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ففَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» [متفق عليه].

مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ: الْمُواظَبَةُ عَلَيْهِ فِي أَحْوَالِ مُعَيَّنَةٍ، مِنْهَا: خَلْفَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، وَفِي جَوْفِ اللَّيْلِ.

ذِكْرٌ وَاسْتِجَابَةٌ

فِي وَاحِدٍ مِنْ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، قَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ: إِنِّي
لَأَعْلَمُ مَتَى يَذْكُرُنِي رَبِّي. وَإِذَا بِمَقَالَتِهِ تَنْزِلُ عَلَى أَسْمَاعِ رِفَاقِهِ
كَالصَّاعِقَةِ، إِذْ كَيْفَ يَدَّعِي عَابِدٌ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ؟ فَسَأَلُوهُ مُتَعَجِّبِينَ:
تَقُولُ أَنَّكَ تَعْلَمُ حِينَ يَذْكُرُكَ رَبُّكَ؟! فَقَالَ فِي ثِقَةٍ: نَعَمْ! قَالُوا:
وَمَتَى؟! قَالَ: إِذَا ذَكَرْتُهُ ذَكَرَنِي، ثُمَّ تَلَا: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
[البقرة: ١٥٢]. فَذَهَبَ عَنْهُمْ مَا تَعَجَّبُوا مِنْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ
صَدَقَهُمْ.

ثُمَّ عَادَتْ كَلِمَاتُ الْعَابِدِ مِنْ جَدِيدٍ تَقَطَّعُ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ:
وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَتَى يَسْتَجِيبُ لِي رَبِّي! فَقَالُوا: تَعْلَمُ حِينَ يَسْتَجِيبُ
لَكَ رَبُّكَ؟! قَالَ: نَعَمْ!! قَالُوا: وَكَيْفَ تَعْلَمُ ذَلِكَ؟! قَالَ: إِذَا
وَجَلَ قَلْبِي، وَاقْشَعَرَ جِلْدِي، وَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَفُتِحَ لِي فِي
الدُّعَاءِ، فَتَمَّ أَعْلَمُ أَنْ قَدْ اسْتَجِيبَ لِي.
فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ - أَيْضًا - .

الْمُسْلِمُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ جَلِيسُ رَبِّهِ حِينَمَا يَذْكُرُهُ، فَيَتَطَهَّرُ، وَيَلْبَسُ
لِمَجْلِسِهِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، وَيَتَذَبَّرُ مَا يَقُولُ.

صَاحِبُ الْكَلِمَةِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَحَوْلَهُ صَحَابَتُهُ الْكَرَامُ -
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا
طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ. فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ صَاحِبُ
الْكَلِمَةِ؟».

وَهَذَا تَخَوُّفَ الرَّجُلِ أَلَّا يَكُونَ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ
وَعَلَا - أَوْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ خَطَأً كَرِهَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَاتَرَ
السَّكُوتَ وَلَمْ يَرُدَّ. وَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا يَدُورُ فِي نَفْسِ الرَّجُلِ
فَاعَادَ سُؤَالَهُ مُطْمَئِنًّا لَهُ قَائِلًا: «مَنْ هُوَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا صَوَابًا».
فَاطْمَأَنَّ الرَّجُلُ فَاسْرَعَ يَقُولُ: أَنَا قُلْتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرْجُو
بِهَا الْخَيْرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ
ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَلَكًا يَتَدَرُونَ كَلِمَتَكَ (يُسْرِعُونَ إِلَيْهَا)؛ أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا
إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» [الطبراني].

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يُرِيدَ
بذِكْرِهِ اللَّهُ الْخَيْرَ عَلَى الدَّوَامِ.

الملائكة ومجالس الذكر

إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ مُّوَكَّلِينَ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَنْاسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى جَاؤُوا وَقَعَدُوا مَعَهُمْ، فَإِذَا تَفَرَّقَ الذَّاكِرُونَ تَفَرَّقَتِ الْمَلَائِكَةُ عَائِدَةً إِلَى رَبِّهَا.

فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟».

فَيَقُولُونَ: مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبِّرُونَكَ وَيَهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

فَيَقُولُ تَعَالَى: «وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟». فَيَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ.

فَيَقُولُ تَعَالَى: «وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟». فَيَقُولُونَ: لَا، أَيُّ رَبٍّ. فَيَقُولُ

تَعَالَى: «فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟». فَيَقُولُونَ: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. فَيَقُولُ

تَعَالَى: «وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟». فَيَقُولُونَ: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ تَعَالَى: "وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟". فَيَقُولُونَ: لَا. فَيَقُولُ

تَعَالَى: «فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟». فَيَقُولُونَ: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. فَيَقُولُ

تَعَالَى: «قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا

اسْتَجَارُوا» [متفق عليه].

الْمُسْلِمُ يَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَكُونَ مَجَالِسُهُ مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّمْجِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَسُؤَالِ الْجَنَّةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ النَّارِ.

لَيْتَهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ

جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ صَحَابَتِهِ، وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ حَلَقٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى.

ثُمَّ حَدَّثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرٌ، شَدَّ انتِبَاهَ الْجَالِسِينَ حَوْلَهُ، وَأَثَارَ فُضُولِهِمْ، حَيْثُ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ عَادَ يُرْجِعُ بَصَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ هَابِطٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، يَرَاهُ؛ وَلَا يَرَاهُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ. ثُمَّ عَادَ ﷺ يَرْفَعُ الْبَصَرَ نَحْوَ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا يُودِّعُ بِهِ شَيْئًا صَاعِدًا نَحْوَهَا. فَلَمْ يَمَلِكْ بَعْضُ مَنْ لَاحَظَ ذَلِكَ نَفْسَهُ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ - وَأَشَارَ إِلَى أَهْلِ مَجْلِسِ أَمَامِهِ - كَانُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ - تَعَالَى - فَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ كَالْقُبَّةِ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ، تَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِبَاطِلٍ، فَرَفَعَتْ عَنْهُمْ» [ابن المبارك].

الذَّاكِرُ لَا يَتَكَلَّمُ فِي مَجْلِسِهِ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلَةَ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ لَا تَحْضُرُ الْمَجْلِسَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ فِيهِ النَّاسُ بِالْبَاطِلِ.

حَلَقَاتُ الذِّكْرِ

ذَاتَ يَوْمٍ، كَانَ الرَّسُولُ ﷺ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ فِي حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ، فَابْتَعَدَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَخَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأَقْتَرَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَلَقَةِ فَرَأَى أَحَدُهُمَا مَكَانًا خَالِيًا فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهِ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا فَاسْتَحْيَا أَنْ يُزَاحِمَ وَجَلَسَ خَلْفَهُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ (أَيُ ضَمَّهُ اللَّهُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ). وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ (رَحِمَهُ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ)، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ (سَخِطَ عَلَيْهِ)» [البخاري].

قَالَ ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» [مسلم].

مَجْلِسٌ وَذِكْرِي

خرجَ أميرُ المؤمنينَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — إلى المَسْجِدِ فَوَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ المُسْلِمِينَ يَجْلِسُونَ فِي دَائِرَةٍ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُمْ وَسَأَلَهُمْ: مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ. فَاسْتَحْلَفَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مَا قَالُوا. فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَجَلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. فَأَخْبَرَهُمْ مُعاويةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَحْلَفَهُمْ تَهْمَةً لَهُمْ.

ثُمَّ حَكَى لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمْ؟». قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا. فَقَالَ ﷺ: "اللهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟». قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ. فَقَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلَفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ (يُبَيِّنُ لَهُمْ فَضْلَكُمْ وَحُسْنَ أَعْمَالِكُمْ)». [متفق عليه].

مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ: الْإِخْلَاصُ، وَالْاجْتِمَاعُ عَلَى الذِّكْرِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَهَذَا مِمَّا يُقَرِّبُ الْمُسْلِمَ مِنْ رَبِّهِ.

الصَّلَاةُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ

أَرْسَلَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُؤْنَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَحَدَّهُ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ زَمَانًا طَوِيلًا.

وَلَمَّا رَأَى يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِصْرَارَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ؛ تَرَكَهُمْ وَاتَّجَهَ إِلَى الشَّاطِئِ لِيَرْحَلَ عَنْهُمْ. فَرَكِبَ سَفِينَةً، فَلَمَّا سَارَتْ هَاجَتِ الرِّيحُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَمْوَاجُ، وَظَنَّ أَصْحَابُهَا أَنَّ لَا نَجَاةَ لَهُمْ إِلَّا بِالتَّخْلُصِ مِنْ بَعْضِ الْأَحْمَالِ وَالرُّكَّابِ، فَأَجْرُوا لِأَجْلِ ذَلِكَ قُرْعَةً، وَكَانَ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ مَنْ أَصَابَتْهُمْ الْقُرْعَةُ، فَأَلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ، فَجَاءَ حَوْتُ كَبِيرٌ فَايْتَلَعَهُ.

وَلَمَّا يَنْسَ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - رُغِمَ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ كَرْبٍ - ذَكَرَ رَبَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فَكَانَ يَذْكُرُهُ هُنَاكَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ قَائِلًا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَنَجَّاهُ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنْ كَرْبٍ وَغَمٍّ.

قَالَ ﷺ عَنْ دَعْوَةِ ذِي النُّونِ [يُؤْنَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ] وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: «فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ [اللَّهُ] لَهُ» [الحاكم].

الذِّكْرُ الدَّائِمُ

جَاءَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ
عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - تَزُورُهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ
عِنْدَهَا إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْمَرْأَةَ سَأَلَ عَائِشَةَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَائِلًا: "مَنْ هَذِهِ؟".

قَالَتْ عَائِشَةُ: فُلَانَةٌ، لَا تَنَامُ اللَّيْلَ.

ثُمَّ رَاحَتْ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا وَصَبْرِهَا عَلَى الْعِبَادَةِ.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ
حَتَّى تَمَلُّوا».

وَأَخْبَرَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ أَحَبَّ
الدِّينِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ يُدَاوِمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. [متفق
عليه].

مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ أَلَّا يَتَكَلَّفَ الْمَرْءُ مِنَ الذِّكْرِ مَا لَا يُمْكِنُهُ الْإِسْتِدَامَةُ
عَلَيْهِ، فَلَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى عِبَادَةٍ وَذِكْرٍ ثُمَّ يَتْرُكُهَا.

مَجَالِسُ الْخَيْرِ

كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَاشِقًا لِمَجَالِسِ الذِّكْرِ، حَرِيصًا عَلَى إِقَامَتِهَا، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ بَاحِثًا عَنْهَا وَدَاعِيًا إِلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: تَعَالَ نُؤْمِنُ بِرَبِّنَا سَاعَةً.

فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَالَ نُؤْمِنُ سَاعَةً. فَعَضِبَ الرَّجُلُ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيْمَانِكَ إِلَى إِيْمَانِ سَاعَةٍ؟!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ؛ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَبْهَاهِي بِهَا الْمَلَائِكَةُ» [أحمد].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ثَوَابِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الذِّكْرِ: "نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ" [أحمد].

دُمُوعُ النَّبِيِّ ﷺ

ذاتَ يَوْمٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقْرَأْ عَلَيَّ». وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَعْلَمِ الصَّحَابَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَنْدَاهُمْ بِهِ صَوْتًا. فَاحْتَارَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا سَمِعَ، وَقَالَ مُعْبَرًا عَنْ حَيْرَتِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟

فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي».

فَيَسْتَجِيبُ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ فَوْرِهِ وَيَبْدَأُ فِي الْقِرَاءَةِ، فَيَفْتَحُ سُورَةَ النَّاسِ يَقْرَأُ مِنْهَا، حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدٌ﴾ [النساء: ٤١]. فَيَسْتَوْفِقُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِلًا: «حَسْبُكَ». قَدْ قَالَهَا فِي نَبْرَةٍ غَلَبَ عَلَيْهَا الْحُزْنُ وَبَدَأَ فِيهَا أَثَرُ الْبُكَاءِ.

وَيَتَوَقَّفُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ هَالَهُ مَا ظَهَرَ فِي صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حُزْنٍ وَبُكَاءٍ، ثُمَّ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى حَبِيبِهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَبْكِي. [متفق عليه].

مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ: اسْتِمَاعُهُ مِنَ الْغَيْرِ؛ فَإِنَّ الْاسْتِمَاعَ أَيْسَرُ وَأَكْثَرُ عَوْنًا عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّدَبُّرِ، كَمَا أَنَّ فِي الذِّكْرِ الْجَمَاعِيِّ تَجْدِيدًا لِنَشَاطِ الذَّاكِرِينَ.

الميزان

صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ انصَرَفَ
فَدَخَلَ عَلَى زَوْجِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - فَإِذَا هِيَ جَالِسَةٌ تَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَرْكَهَا وَشَأْنَهَا
وَمَا شَغَلَتْ بِهِ نَفْسَهَا مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَحْمِيدٍ وَتَهْلِيلٍ وَسُؤَالٍ
وَاسْتِغْفَارٍ، وَخَرَجَ ﷺ.

فَلَمَّا ارْتَفَعَ الضُّحَى - قَرِيباً مِنْ مُنْتَصَفِ النَّهَارِ - رَجَعَ ﷺ
فَوَجَدَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَرْكَهَا
عَلَيْهَا مِنَ الذِّكْرِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا زِلْتَ الْيَوْمَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي
فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ.

فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - لَوْ
وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ
خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةِ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [مسلم].

مِنْ آدَابِ الذِّكْرِ: ذَكَرَ اللَّهُ بِالْجَوَامِعِ مِنَ الذِّكْرِ، وَتَكَرَّرَ الذِّكْرُ ثَلَاثًا،
فَذَلِكَ أَدْعَى لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي مَعَانِي الذِّكْرِ.

التَّسْبِيحُ وَالنَّوَى

ذَاتَ يَوْمٍ، جَلَسَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تُسَبِّحُ رَبَّهَا، وَقَدْ أَحْضَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا أَرْبَعَةَ
آلَافٍ نَوَاةٍ، كُلَّمَا سَبَّحَتْ تَسْبِيحَةً أَخَذَتْ نَوَاةً مِمَّا أَمَامَهَا
فَأَبْعَدَتْهَا.

وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ تَصْنَعُ ذَلِكَ،
فَقَالَ: «يَا بِنْتَ حَيٍّ مَا هَذَا؟». قَالَتْ: أُسَبِّحُ بِهِنَّ.

فَقَالَ ﷺ: «قَدْ سَبَّحْتُ (الآن) مِنْذُ قُمْتُ عَلَى رَأْسِكَ،
أَكْثَرَ مِنْ هَذَا»، فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَلَّمَنِي
يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قُولِي: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ مِنْ
شَيْءٍ». [الحاكم].

يَجُوزُ عَدُّ وَحْسَابُ الذِّكْرِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مَشْرُوعَةٍ لِلْعَدِّ: كَالْحَصَى أَوْ
الْمَسْبُوحَةِ، إِلَّا أَنَّ عَقْدَ الذِّكْرِ وَعَدَّهُ بِالْأَنَامِلِ أَفْضَلُ.

قَصَصُ آدَابِ الذِّكْرِ

مَا أَحَلَّى ذِكْرَ اللَّهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَأَرْقَهُ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَأَسْعَدَهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - : «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ (الْفِضَّةِ)، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى» [الترمذي وأحمد].

وَمَجَالِسُ الذِّكْرِ تُورِثُ الْقَلْبَ طُمَأْنِينَةً وَأَمْنًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَهِيَ تَمَلَأُ الْقَلْبَ رِقَّةً وَتَزِيدُهُ إِيْمَانًا، وَحَتَّى يُؤْتِيَ الذِّكْرُ ثِمَارَهُ، فَلَا بُدَّ لِلذَّاكِرِ مِنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُهُ، وَآدَابٍ يَتَحَلَّى بِهَا، وَفِي هَذَا الْكِتَابِ قَدَّمْنَا بَعْضَ هَذِهِ الْآدَابِ، فِي صُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ وَطَرِيقَةٍ مُيسَّرَةٍ، عَسَى أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

